الملخص

في خضم التحولات العميقة التي يشهدها العالم في مجال الأمن والدفاع، برز الذكاء الاصطناعي بوصفه أداة تقنية ومحرك محوري لإعادة تشكيل العقائد العسكرية لدى القوى الكبرى، ولعلّ المثال الأكثر وضوحًا لذلك يتمثل في التجربة الروسية الحديثة التي لم تعد تعتمد فقط على القوة التقليدية؛ بل انزلقت تدريجيًا نحو نمط جديد من الحروب تُدار عبر أدوات ذكية وأنظمة ذاتية التشغيل وفضاءات افتراضية، تسلط الدراسة الضوء على التداخل المتزايد بين الذكاء الاصطناعي والعقيدة العسكرية الروسية، وتحديدًا في سياق الحرب الروسية–الأوكرانية، إذ لم تعد الحرب مجرّد مواجهة ميدانية تقليدية؛ بل تحولت إلى ساحة اختبار حقيقية لتقنيات الذكاء الاصطناعي في بُعديها الهجومي والدفاعي، من هنا تنبع أهمية هذه الدراسة ليس فقط في تحليل هذا التفاعل؛ بل في الكشف عن التحول الأعمق في فلسفة الحرب الروسية التي أصبحت تستند إلى الردع السيبراني والتفوق التكنولوجي وعمليات التحكم الذكي.

ما يميز التجربة الروسية الحديثة هو دمجها السريع والعميق لأدوات الذكاء الاصطناعي في بنيتها العسكرية، فقد تحولت المسيرات والأنظمة الروبوتية والهجمات السيبرانية من مكملات للجهد القتالي إلى عناصر مركزية في رسم ملامح المعارك، وهذا ما تجلّى بوضوح في استخدام موسكو لأنظمة متقدمة مثل "بيريسفيت" الليزري والمنصات القتالية الروبوتية مثل Uran–9 ، ونظام GLONASS الملاحي، ما يعكس تحولًا نوعيًا في طريقة خوض الحرب وإدارة الاشتباك مع العدو.

لكن هذا التحول لم يكن معزولًا عن تغييرات أوسع في البنية العقائدية الروسية إذ شهدت الوثائق العسكرية الرسمية – منذ أوائل التسعينيات وحتى العقيدة المحدثة في ٢٠٢٤ – انزياحًا تدريجيًا من المفهوم الكلاسيكي للأمن نحو تصور شامل يدمج الفضاء الإلكتروني والفضائي ضمن استراتيجيات الردع والسيطرة، وقد ترافق هذا التغيير مع خطاب سياسي وعسكري روسي يُبرز الرهان على الأتمتة والتفوق المعلوماتي كأدوات لصناعة الردع، وفي المقابل لم تكن أوكرانيا خصمًا ساكنًا، فبفضل الدعم الغربي تمكنت من تطوير نمط مقاومة ذكي يستند إلى أنظمة مثل Bayraktarو NASAMSوPhoenix Ghost، إلى جانب أدوات تحليل الصور الفضائية والتنصت الإلكتروني والذكاء الاستخباري ما منحها مرونة وقدرة على مجاراة؛ بل وفي بعض المحطات التفوق على التكتيك الروسي عالي التقنية.

ما يُستخلص من هذا الصراع أنه يمثل نقطة انعطاف تاريخية في فهم طبيعة الحرب، فلم تعد الأسلحة وحدها هي من تحسم المعركة؛ بل الكفاءة في استخدام البيانات والخوارزميات وتكامل الأنظمة الذكية، وإن هذه الحرب كشفت عن مدى تسارع تسليح الذكاء الاصطناعي وضرورة وجود أطر قانونية وتنظيمية تحكم هذا الاستخدام منعًا لانفلاته،

ومن هذه الزاوية تقترح الدراسة ألا تقف الدول ومن بينها العراق موقف المتفرج؛ بل أن تلتقط هذه اللحظة لتطوير بنيتها السيبرانية وتعزيز مرونتها الدفاعية والتفكير في تحديث عقيدتها العسكرية بما يتلاءم مع متطلبات العصر الرقمي.

ومن ثم لا تقدم هذه الدراسة توصيفًا لصراع قائم بقدر ما تقرأ في طياته المستقبل الذي ينتظر العلاقات الدولية، إذ الحروب تُدار عن بُعد والعقول الذكية – الاصطناعية منها – تُصبح هي من تخطط وتنفذ وتنتصر.